الفصل الخامس

وظائف الثقافة

الفصل الخامس

وظائف الثقافة

للثقافة وظائف مهمة في حياة المجتمع يمكن إيجازها في النقاط التالية:

أولاً : تمييز المجتمعات عن بعضها :

أنها تميز المجتمعات البشرية عن بعضها، وتوضح السمات العامة التي يتصف بها أفراد كل مجتمع عن الآخر، ولا نقول إن الثقافات تجعل مجتمعا أفضل من الآخر، أو تجعله أكثر رقيًا من غيره، إذ الواقع أن كل مجتمع متفرد بثقافته، معتز بها، بل ومدافع عنها عند اللزوم. إن الثقافات تتمايز فيما بينها، ولكنها لا تتفاضل.

ثانيا : تماسك البناء الاجتماعي :

تعمل الثقافة على تماسك البناء الاجتماعي Social Structure داخل المجتمع ، حيث يعرف كل شخص مواقعه داخل جماعته، ومن ثم يؤدي أدواره الاجتماعية المطلوبة منه دون أن يتصادم مع غيره من الأشخاص. إن شغل أفراد المجتمع لمراكزهم الاجتماعية ، وممارسة الأدوار المنوطة بهم يتم على أساس توقعات المجتمع من هؤلاء الأفراد ، وذلك يساعد على تماسك المجتمع وإزالة عناصر الصراع .

ثالثًا : تشكيل البُعد النفسي :

تشكل الثقافة بُعداً نفسيًا Psychological مهما للفرد داخل جماعته، حيث يشعر بالأمان حين يكون بينها، لأنه يتعامل مع أفرادها على أساس الأطر والأنساق والنظم والقيم التي ارتضتها الجماعة لنفسها، وتشربها هو ـ أي الفرد ـ خلال تنشئته الاجتماعية الطويلة منذ الطفولة، كما أنه يشعر

بالأمان النفسي حين يكون خارج جماعته ويلتقي بنفر من أبناء ثقافته يحس بأحاسيسهم، ويشعر بشعورهم. إن الطمأنينة النفسية ، وإشباع الحاجة للأمن لمن أهم وظائف الثقافة.

رابعًا : توضيح المعايير والقيم :

توضح وتجلي المعايير والقيم التي تتبناها جماعة بعينها ، داخل ثقافة معينة، كما توضح للفرد حدود علاقاته وتعاملاته مع الأفراد الآخرين، ومع الهيئات والمنظمات داخل الجماعة أو المجتمع باتساعه، ومعرفة هذه الحدود والالتزام بها أمر مهم للطرفين : الأفراد من جهة والهيئات والمنظمات من جهة أخرى ، حيث يسلك كل منهم وهو على بينة من أمره ، مما يجعل العمل والتفاعل يسير بهدوء وسلاسة دون تصادمات ، بل مما يجعل الحياة نفسها هينة وسهلة.

خامسًا : إيجاد اهتمامات مشتركة :

تعمل الثقافة على إيجاد اهتمامات مشتركة بين أفراد المجتمع الواحد، ووجود الأهداف المشتركة ، والسعي لتحقيق تلك الأهداف يربط أفراد المجتمع ببعضهم ويوحدهم، كما يكسبهم الشعور بالانتماء والتضامن والتعاون، ومن ثم يجنبهم الصراع والتمزق، ويحقق بينهم روح الجماعة الواحدة، ووجود هذه الروح دافع رائع لإنجاز المعجزات ، خاصة إذا كانت هناك أهداف واضحة يجمع الكل عليها ، ويسعون لتحقيقها بكل جهدهم وطاقتهم.

سادسًا : حفظ التراث :

تحفظ الثقافة للمجتمع تراثه القديم ، وتعمل على نقله عبر الأجيال المتعاقبة من القديم إلى الحديث فالأحدث، ولولا هذه العملية ـ المحافظة على التراث ونقله ـ لانقطعت الصلة بين الأجيال الحالية في مجتمعاتها وبين ماضيها ، ولضاعت ـ في الوقت نفسه ـ خبرات هائلة مرت بها الجماعات البشرية في صراعها الطويل مع الطبيعة ، ومع بعضها البعض، ولكان على كل جيل أن يبدأ المسيرة من جديد ، وأن يكتسب خبراته بذاته.

سابعًا: تحديد ذات الإنسان وعلاقاته:

تحدد الثقافة ذات الإنسان وعلاقاته مع نظرائه، ومع الطبيعة، ومع « ما وراء الطبيعة » ، كما تقول الخطة الشاملة للثقافة العربية ، من خلال تفاعله معها ، وعلاقاته بها ، في مختلف مجالات الحياة[1]. ولا ندري لماذا لا يقول من أسهموا في وضع تلك الخطة شيئا عن علاقة الإنسان بخالقه، خاصة في مجتمعنا العربي المسلم، وذلك بدلا من الحديث عن « ما وراء الطبيعة».. ؟؟!!

ثامنًا : تيسير سبل التفاعل للإنسان :

الثقافة قوام الحياة الاجتماعية، وظيفة وحركة ، فليس من عمل اجتماعي ، أو فني جمالي ، أو فكري يتم إنسانيا خارج دائرتها ، وهي التي تيسر للإنسان سبل التفاعل مع محيطه.. مادة وبشراً ومؤسسات.[2]

تاسعًا : توحيد الأمة :

هي وسيلة وحدة الأمة (المجتمع) لأنها هي التي تنسج وحدة التكوين الداخلي فيها، وتوحد في أعماق الذات نماذجها البشرية وقيمها، وتجمع أفرادها على الالتزام بمصيرها التضامني الواحد.

عاشرًا : تأكيد الذات:

هي وسيلة تأكيد للذات وللتمايز عن الآخرين (وليس للتميز.. فالفرق كبير)، وهي بقدر ما تقرب المرء من قومه تبرز من خلاله عبقريته الخاصة، وتكشف عن تباين باقي البشر وتفرده الإنساني عنهم[3] (؟؟).

---

(١) الخطة الشاملة للثقافة العربية ، مرجع سابق، ص ٤٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٣.

ملحوظة :

إننا إذا كنا نقبل فكرة التمايز بمعنى الاختلاف إلا أن فكرة تفرد الإنسان عن باقي البشر هذه ، والتي يقول بها واضعو خطة الثقافة العربية يصعب قبولها ، حقيقة لكل إنسان سمات وقدرات تختلف عن الآخرين، ولكن ليس لدرجة تفرد إنسان واحد عن جميع البشر..!! ويكفي أن الله ، سبحانه وتعالى، يقول في محكم آياته على لسان سيد الخلق أجمعين ﷺ، ﴿ قل إنما أنا بشر .. مثلكم ﴾، كما يقول ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ .

حادي عشر : وسيلة دفاع وحصن أمان :

هي وسلة دفاع ، وحصن أمان في اللحظات المصيرية، لأنها آخر ما يمكن انتزاعه من النفوس[٤]، والواقع أن هذا القول ينطبق خاصة على جانب «الإيمان» في حياة الأفراد ، فهو الملجأ الأخير الذي يلجأ إليه الإنسان، ويعتصم به، ولعل ما يجري في البوسنة والهرسك، وفي الشيشان ، هذه الأيام من اعتصام المسلمين بدينهم ، أمام الصرب المجرمين والشيوعيين الكافرين ، يوضح دور الإيمان في حياة البشر، وقد سبق ورأينا الأعاجيب في الصراع بين الحق والباطل، بين الكفر والإيمان، في معارك الجهاد بين كل من الجزائريين والفرنسيين، وبين الأفغان والروس[*]، وذلك حين اعتصم المسلمون بدينهم وإيمانهم وقاتلوا أهل الشرك والكفر، ودافعوا عن أوطانهم ، ودفعوا أرواحهم حتى أتاهم نصر الله المبين، وهو نفس ما يجري الآن في الأرض المقدسة.. فلسطين ، بين المؤمنين وبين اليهود الملعونين.

---

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٤.

(*) يمكن لمن أراد الاستزادة حول هذا الموضوع مراجعة كتاب المؤلف: «أفغانستان المجاهدة أمانة في أعناق المسلمين»، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٠هـ.